نص كلمة السيد الحكيم في المنتدى العالمي الثالث لثقافة السلام العادل القاهرة - جمهورية مصر العربية 2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين ..

السادة والسيدات الحضور..

السلام عليكم ورحمة وبركاته..

يسعدني مشاركتكم في المنتدى العالمي الثالث لثقافة السلام من أرض الكنانة.. أرض العروبة والسلام.. جمهورية مصر العربية .. الدولة الشقيقة والعزيزة على قلوب العراقيين جميعاً..

آملين أن تثمر مخرجات هذا المنتدى الرصين لمؤسسة الراحل الكبير الشيخ عبد العزيز سعود البابطين الثقافية.. ما فيه خير شعوبنا في المنطقة والعالم.

هي فرصة ثمينة نستذكر فيها الشخصية العربية الفذة التي تركت بصمة مهمة في ميدان الثقافة والأدب العربي وشيدت منظومة واسعة من العلاقات العربية والإسلامية والدولية.

وكم نفتقد الأخ العزيز الشيخ المكرم عبد العزيز البابطين في هذا الجمع الكريم ولنا بوجود نجله النبيل الأستاذ سعود عبد العزيز البابطين سلوان بفقده راجين له التوفيق في مواصلة الطريق والحفاظ على الإرث الكبير الذي خلفه فقيدنا العزيز.

السلام ليس غياباً للحرب والنزاع فحسب ، بل هو حالة الأمان والاستقرار التي تبدأ من العلاقات الشخصية، والاجتماعية وتمتد إلى الآفاق الدولية الأوسع.

والسلام في أهم مصاديقه يعني الحفاظ على كرامة الإنسان، والعيش بسلام مع الآخرين، وتعزيز التفاهم والتعايش بين مختلف الثقافات والديانات.

إن الحديث عن ثقافة السلام يتطلب أولاً استحضار الأركان الأساسية وتفعيلها لتحقيق هذا السلام..

فلا يمكن الحديث عن السلام من دون إرادة حقيقية تؤكد الحاجة للسلام ..

ولا يمكن تطبيق هذه الإرادة من دون قدرة فعلية لصناعة هذا السلام..

وصناعة السلام هي الأخرى .. لايمكنها انتاج سلام دائم من دون آلياتٍ جدية لحفظ هذا السلام..

هذه الأركان الثلاثة لتحقيق السلام من(الحاجة الفعلية والقدرة على صناعة السلام .. وآليات الحفاظ عليه وديمومته) .. لايمكن اكتمالها من دون عملية تنموية لبناء السلام واستدامته بشكلٍ عمليٍ وفاعل ومناسب، ... فالسلام الدائم هو ما ترتضيه الأجيال القادمة لتكون الضامنة في إدامته وحفظه.

والسلام العادل يتضمن حماية حقوق الإنسان ، وضمان الحريات الأساسية للجميع.

وهو يشمل الحق في الحياة، والحرية ، والسعي نحو السعادة والعيش الكريم.

وباختصار، فالسلام العادل كما نراه ، هو أبعد وأوسع من غياب الصراعات؛ إنه يعكس حالة من العيش المتوازن المستقر الذي يقوم على أسس العدل، والإحسان، والتسامح، واحترام حقوق الإنسان.

نحن اليوم بأمس الحاجة لتعزيز مبادئ السلام وتطبيق أركانه الفعلية في منطقتنا وفي العالم من خلال تعزيز فرص التنمية الشاملة وتحقيق أركانها .. فالسلام هو مفتاح التنمية الحقيقي لشعوبنا و دولنا والعكس صحيح..

ولايمكن فصل التنمية عن السلام .. فهناك علاقة متشابكة بين المفهومين.. فإذا أردنا تنميةً شاملةً في بناء الإنسان والمجتمع والأسرة والحكومات .. مروراً بجميع القطاعات الاقتصادية والسياسية والبيئية ..

فلابد من إرساء السلام وتطبيقه أولاً .. والتنمية تعكس مجموعةً متكاملةً من القيم الاجتماعية والسياسية.. تتمثل مجتمعة في إقرار وترسيخ ثقافة السلام.

وإن الزيادة السكانية التي يشهدها العالم اليوم ومنطقتنا العربية والإسلامية بالأخص. تجعل من التنمية مطلباً وجودياً أكثر منه مفهوماً وثقافةً..

كما أن التحديات الديموغرافية والبيئية هي عوامل لا يمكن تجاهلها، حيث إن النمو السكاني السريع، والهجرة، وندرة المياه، وتغيرات المناخ ، باتت أموراً جوهرية وأساسية تحتاج إلى معالجة عاجلة لضمان مستقبل السلام.

فلا بديل اليوم غير الإسراع في عجلة التنمية الشاملة ومكافحة العوائق التي تحول دون تحقيق تلك التنمية المرجوة.

إن الشباب لايمثلون مستقبل أمتنا فحسب ، بل هم الحاضر الفاعل والمؤثر في بناء عالمٍ أكثر سلامًا وازدهارًا.

والشباب أكثر من يصلح لتعزيز جسور التواصل بين الثقافات والأديان والحضارات.من خلال التعليم والتبادل الثقافي، وأكثر من يمكنهم لعب دور محوري في تعزيز التفاهم والتعايش بين المجتمعات المختلفة.

إن الاستثمار في الشباب وتمكينهم يعني بناء أساس متين لعالم أكثر سلامًا وتناغمًا. دعونا نعمل معًا لتوفير الفرص والموارد التي يحتاجها شبابنا ليكونوا قادة السلام في اليوم والغد.

لاسيادة ولاحرية ولا استقلال في القرار السياسي وفي الصناعة والزراعة وسائر القطاعات في دولنا العربية والإسلامية.. ما لم تكن هناك تنمية شاملة وحقيقية في مجتمعاتنا وبلداننا.

ومن الأمثلة البارزة على التنمية المستدامة في الوطن العربي هي "مشروع العاصمة الإدارية الجديدة" في مصر، الذي يعد مثالاً على الجهود الكبرى نحو تحقيق التنمية المستدامة وتعزيز السلام وفق خطة محترفة لتخفيف الضغط عن القاهرة التي تعاني من الازدحام الشديد والتداعيات البيئية ، فجاءت رؤية تصميم المدينة بطريقة تضمن الكفاءة في استخدام الموارد، مثل إعادة استخدام المياه والطاقة الشمسية بنحو أمثل.

وهنالك عدد من المشاريع العربية ، تعتبر مثالاً ممتازاً في التنمية المستدامة منها :

مشاريع الكويت في مجال الطاقة المتجددة والبنى التحتية كمشروع مدينة الحرير الذي يهدف إلى تقليل الاعتماد على النفط وتحسين جودة الحياة للسكان.مشاريع قطر في أستضافة الفعاليات الرياضية الكبرى مدخلاً لتعزيز التنمية المستدامة.مشروع الديسي لنقل المياه في الأردن. ومشاريع طاقة الرياح والشمس في المغرب. ومدينة مصدر في الإمارات العربية المتحدة.ورؤية (2030) في المملكة العربية السعودية.وميناء الفاو الكبير وطريق التنمية في العراق.

وفي هذا السياق الحيوي نرى من الضروري أن تتسم العملية التنموية في بلداننا بالمبادئ الثلاثة الآتية:

أولاً/ أن تكون متجهة نحو تلبية الاحتياجات غير المادية ، وأن لا تقتصر على المفهوم المادي .. فالفقر اليوم لايعني احتياج الإنسان إلى الغذاء والدواء فقط .. بل الفقر الحقيقي هو فقر المنظومة التعليمية والقيمية والأخلاقية .. وأبرز ما يهدد شعوبنا هي تلك الثقافات المنحرفة والدخيلة على قيمنا العربية والإسلامية.

ثانياً/ أن تنطلق التنمية من داخل المجتمع نفسه .. معتمدة على موارده البشرية والطبيعية والثقافية.. فأهل مكة أدرى بشعابها.. ولانريد غطاءاتٍ ومبرراتٍ تتيح للآخرين التدخل بشؤوننا بإسم التنمية ، لأغراض وأهداف فرعية ودخيلة.

ثالثاً/ أن تكون التنمية مستندة إلى تحولات بنيوية في الاقتصاد والمجتمع والبيئة الإقليمية والدولية.. حتى تكون تنمية جذرية وشاملة وحقيقية.. فمن الصعب أن تنفرد دولة ما بالتنمية وهي ضمن محيط إقليمي مضطرب غير مستقر.. ومن المستحيل أن نتكلم عن التنمية تحت أزيز الرصاص وطبول الحرب وآثارها المدمرة الفادحة.

وتحقيق ذلك يتطلب أولاً تشخيص الكوابح التي تقف عائقاً دون الوصول إلى مشارف التنمية وتحقيقها.. فالضعف والقصور في القطاع التعليمي ، وهشاشة النظام الإداري والمصرفي وتصاعد حالات العنف المجتمعي وإهمال الاتفاقيات التطويرية والاستثمارية بين الدول والمؤسسات .. وعدم الاستقرار في المنظومة الإقليمية سياسيا وأمنياً واقتصادياً .. تعد من الكوابح الأساسية التي تمنع استمرار عجلة التنمية في بلداننا.

إننا في العراق عانينا كثيراً من آثار توقف عجلة التنمية.. وما زلنا نعاني بعض آثارها بالرغم من الخطوات الكبيرة التي تحققت طيلة العقدين الماضيين ، وما تحقق في حكومة الأخ السوداني بشكل خاص.

فالحروب وسنوات الحصار .. ثم ثقافة التطرف والتكفير والعنف .. كانت عوائق أمام نهوض العراق .. واليوم بحمد وتوفيقه وبإرادة العراقيين وقواهم السياسية الوطنية

ومرجعياتهم الرشيدة استطعنا تجاوز تلك العوائق وآثارها المدمرة على الانسان والمجتمع إلى حد كبير.

فعراق اليوم يختلف عن أمسه وماضيه .. وهو في طريقه نحو الريادة في مجالات حيوية واستراتيجية بإذنه تعالى.

لقد استطاع العراق أن يكسر شوكة الإرهاب والتطرف .. واستطاع توحيد مكوناته في إدارة عملية سياسية ديمقراطية ناجحة.. فالديمقراطية تقع في صميم التنمية.. ولايصح الحديث عن تنميةٍ بلا نظامٍ ديمقراطي يقوم على التداول السلمي للسلطة.

كما استطاع العراق أن يعيد جزءاً كبيراً من امكانياته الذاتية في المجال الاقتصادي والأمن الغذائي والكثير من الاحتياجات الأساسية .. وهو في طريقه لتحقيق قفزات كبيرة في مجال الاستثمار والتنمية الصناعية عبر توفير البنى التحتية المطلوبة لذلك..

وقد نجح العراق أيضا في النأي بنفسه من الدخول في اصطفافاتٍ إقليميةٍ ودوليةٍ من خلال اعتماده سياسة الحياد الإيجابي دون المساس بقيم الأمة العربية والإسلامية وثوابتها الدينية والأخلاقية الأصيلة.

لكننا اليوم نواجه تحدياً كبيراً.. وهو أمر تشترك فيه جميع دولنا العربية والإسلامية .. هو تهديد أمن منطقتنا وزعزعة السلام فيها بعدما حققته من نجاحاتٍ كبيرةٍ في عودة المياه إلى مجاريها الطبيعية.

الحضور الكريم ..

نحن اليوم مجتمعون لمناقشة واحدةٍ من أكثر القضايا إلحاحًا في عالمنا العربي في مواجهة تحديات السلام.

ففي قلب هذه التحديات، تحتدم النزاعات الداخلية والإقليمية. وقد شهدنا، للأسف، كيف يمكن للحروب الأهلية والصراعات الطائفية أن تدمر مجتمعاتنا من الداخل، وكيف تعمل النزاعات الإقليمية على إضعاف علاقاتنا مع جيراننا.

وما زال التطرف والإرهاب يواصلان تقويض جهودنا نحو السلام ، ولا يمكننا التغاضي عن الحاجة إلى مواجهة هذه التحديات بشكل جذري وشامل.

إن ما يتعرض له شعبنا الفلسطيني في غزة والضفة والمدن الفلسطينية الأخرى من إبادة جماعية تحت مبرراتٍ غير منطقية من قبل الكيان الصهيوني وتحت صمت دولي مريب .. تعد من أبرز التحديات التي تواجه إرساء ثقافة السلام ودفع عجلة التنمية في المنطقة.

نقدر الجهود الكبيرة التي تبذل من قبل جمهورية مصر العربية ولاسيما مايقوم به الرئيس السيسي وما تسعى إليه العديد من دول المنطقة والعراق بشكل خاص للوصول إلى حل جذري لإيقاف هذه المأساة الإنسانية وإيجاد حل عادل يحقق كرامة الفلسطينيين وحقهم الطبيعي على أراضيهم المحتلة..

إذ لايمكن أن نتخيل وجود تنمية حقيقية.. ووجود سلام دائم بوجود أراض محتلة وحقوق مسلوبة .. وسياسات تدميرية ومتهورة تؤثر على أمن شعوبنا و دولنا.

القضية الفلسطينية ليست شعاراً سياسياً وإنما هي قضية تمس كرامة المواطن العربي والمسلم.. ولا يمكن التغاضي عنها أو تعويمها بأساليب وجهود بعيدة عن معنى الكرامة والإنسانية.

إنني أدعو ومن خلال هذا المنتدى الدولي إلى اعتبار التنمية المستدامة والمستندة إلى سلام حقيقي ودائم في منطقتنا العربية والإسلامية .. هي القضية الأولى لدى دولنا وحكوماتها ومجالسها التشريعية.. كلاً بحسب نظامه السياسي وبيئته و أولوياته.

وأن نشهد خطوات عملية ذات أولوية في نتائج الاجتماعات الدورية لجامعة الدول العربية والمنظمات العربية والإسلامية.. لتكون تلك التنمية ضمن مشروع القرارات الإقليمية وقوانين التنفيذ المحلية في مسار تأمين مستقبل أجيالنا وحفظ مصالحهم وفرصهم في حياة حرة كريمة.

إن الطريق نحو السلام ليس سهلاً، ولكنه ضروري. يتطلب منا جميعًا - حكومات، وبرلمانات ومؤسسات، وأفراداً - التزامًا جادًا وعملاً متواصلاً. ونحن على ثقة بجهودنا المشتركة، في السعي إلى تحقيق السلام المنشود في عالمنا العربي وفي العالم.

حمى شعوبنا العربية والإسلامية من كل سوء ومكروه..

وحمى شبابنا العربي والإسلامي من أنياب الثقافات الدخيلة وظواهرها الأخلاقية المشؤومة..

إنه سميع مجيب الدعوات ..

والسلام عليكم ورحمة وبركاته.